11 me Année No. 537

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 18 - 10 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٣٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

المقترحون والمؤلفون

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين جمهرة القراء في اللغة العربية طائفة لا ترضى عن شيء ولا تكف عن اقتراح ، ولا تزال تحسب أنها تفرض الواجبات على الكتاب والمؤلفين ، وليس عليها واجب تفرضه على نفسها

إن كتبت في السياسة قالوا : ولم لا تكتب في الأدب ؟

وإن كتبت في الأدب قالوا : ولم لا تكتب في القصة ؟

وإن كتبت في القصة قالوا : ولم لا تكتب للمسرح أو للصور المتحركة ؟

وإن كتبت للمسرح والصور المتحركة قالوا : ولم لا تحيي لنا تاريخنا القديم ، ونحن في حاجة إلى إحياء ذلك التراث ؟

وإن أحييت ذلك التراث قالوا : دعنا بالله من هذا وانظر إلى تاريخنا الحديث فنحن أحق الناس بالكتابة فيه

وإن جمعت هذه الأغراض كلها قالوا لك : والقطن ؟ وشؤون القرض الجديد ؟ ومسائل المال ، ورؤوس الأموال ؟ وكل شيء إلا الذي تكتب لهم فيه

وقد شبهت هذه الطائفة مرة بالطفل المدلل الممود : يطلب كل طعام إلا الذي على المائدة ، فهو وحده الطعام المرفوض إن قدمت له اللحم طلب السمك ، وإن قدمت له الفاكهة

طلب الحلوى ، وإن قدمت له صنفاً من الحلوى رفضه وطلب الصنف الآخر ، وإن جمعت له بين هـذه الأصناف تركها جميعاً وتشوق إلى المدس والفول ، وكل مأكول غير الحاضر المبذول

سر هذا الاشتهاء السقيم في هذه الطائفة من القراء معروف . سره أن الجمهور القارىء في بلادنا العربية لم « يتشكل » بعد على النحو الذي تشكلت به الجماهير القارئة في البلاد الأوربية . وإنما نعد الجمهور القارىء متشكلا إذا وجدت فيه طائفة مستقلة لكل نوع من أنواع القراءة ، وإن ندر ولم يتجاوز المشغولون به المئات .

وسنسمع المقترحات التي لا نهاية لها ، ولا نزال نسمعها كثيراً حتى يتم لنا « التشكيل » المنشود ، وهو غير بعيد

ولسنا لهذا نستغربها كلما سمعناها من حين إلى حين لأنها مفهومة على الوجه الذي قدمناه

ولكن الذي لا نفهمه أن تاتى تلك المقترحات من كاتب نابه يعرف حاجة الأمة العربية إلى كل نوع من أنواع القراءة ، ولا سيما تاريخها القديم مكتوباً على النمط الحديث

فغريب حقاً أن يشير كاتب نابه إلى كتابة الدكتور هيكل وكتابتي عن أبي بكر وعمر ؛ فيقول كما قال كاتب المصور : « . . . حسن جداً هذا السباق وقد أجدتما الجري في ميدانه ، ولكن هل نسيتما أن أبا بكر وعمر كتب عنهما مائتا كتاب ؟ وأن في عصرنا الحاضر موضوعات قومية ووطنية وتاريخية ومالية واجتماعية تستحق منكما نظرة ومن قلميكما التفاتة ؟ وأن أكثر طلابنا لا يعرفون عن تاريخ بلادهم الحديث حرفا ، وأن صدر الإسلام بحمد الله قد وفاه أئمته وأدباؤه وشعراؤه من العرب حقه فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وفوها وشرحوها وفصلوها ، وبقي تاريخ مصر الحديث والقديم بغير بحث ولا تحليل ؟ ... »

* * *

غريب هذا الرأي من « المسئولين » كما نسميهم في لغة السياسة وإن لم يكن غريباً من غير المسئولين

وتتم غرابته لأنه يجمع من الأخطاء في بضعة أسطر ما يقدر أن يجتمع منها في صفحات

فبالأمس سمعنا دعوة إلى انفراد كل جنس بالكتابة عن جنسه ، فلا يكتب عن المرأة إلا المرأة ، ولا عن الرجل إلا الرجل ، ولا يسمح للرجال أن يكتبوا عن الحوادث التي تدور وقائعها بين الرجال والنساء

واليوم نسمع دعوة أخرى إلى انفراد كل جيل بالكتابة عن جيله الذي يعيش فيه ولا يتعداه إلى جيل آخر ، فلا يسمح لنا نحن أبناء العصر الحاضر أن نكتب عن شيء يتجاوز القرن التاسع عشر راجعاً أو القرن العشرين متقدماً إلى الأمام

رأي غريب لو صحت مقدماته وأسبابه

وإنه لأمعن في الغرابة حين نرجع إلى المقدمات والأسباب فلا نرى مقدمة منها أو سبباً يقوم على ركن صحيح

إذ ليس بصحيح أن أبا بكر وعمر قد كتب عنهما مائتا كتاب إلى الآن ، لأن الذي كتب عنهما إنما كتب عن الحوادث والأخبار في عصرهما ، وهو مع ذلك لا يزيد على أصابع اليدين

أما « الصورة النفسية » التي تصور لنا كلا منهما على حقيقته الإنسانية فلم توصف قط قبل هذا الجيل . ومتى وصفت صورة نفسية عن إنسان في زمن من الأزمان فهي صورة عصرية تهم الإنسان حيث كان من أول الزمن إلى آخر الزمان

بل الواجب المفروض على كل أمة تنبعث إلى الحياة أن تجدد فهم تاريخها وتعقد الصلات الوثيقة ما بينه وبينها ، ولا تقتصر على فهمه كما كانوا يفهمونه قبل مئات السنين

وعلى أنه لو صح أن المصنفات التي كتبت عن عظماء التاريخ العربي فيها الكفاية التي تغني عن المزيد من التصنيف والتصوير فليس في ذلك حجة تتجه إلينا وتسوغ الملامة علينا

لأننا لم نترك جيلنا الحاضر معرضين عن أبطاله وزعمائه وأصحاب الأثر في حياته القومية والوطنية ؛ بل كتبنا عن « سعد زغلول » مجلداً ضخماً يساير الحركة الوطنية من الثورة العرابية إلى اليوم الذي تمت كتابته فيه ، وساهمنا بحصتنا في هذا الباب إن كانت هناك حصة مفروضة على كل كاتب في موضوع من الموضوعات .

* * *

ولكننا في الواقع لا نعتقد أن هناك واجباً مفروضاً عل الكاتب غير الإجادة في موضوعه الذي يتناوله كائناً ما كا

وليس هناك موضوع يكتب كتابة حسنة ثم لا يستحق أن يقرأ ولا يفيد إذا قرئ قراءة حسنة

فالبطل القديم الذى يدرس على الوجه الصحيح هو موضوع جديد فى كل عصر من العصور

والبطل الحديث الذى يساء درسه خسارة على القارئ والكاتب والبطل المكتوب عنه ؛ لأن العبرة بتناول الموضوع لا بالموضوع . والعبرة بأسلوب العصر الذى تتوخاه وليست بالسنة التى يدور عليها الكلام

فالكتابة عن سنة ١٩٤٣ بأسلوب عتيق هى موضوع عتيق . والكتابة عن آدم وحواء بأحدث الأساليب العلمية أو النقدية هى موضوع الساعة الذى لا يبلى

وأولى من الاقتراح على الكتاب أن نقترح على القراء أن يقرأوا كل ما ينفعهم كيفما اختلفت موضوعاته ، لا أن نشجع « الولد المدلل الممعود » على رفض كل ما على المائدة وطلب كل ما عداه .

***

وقد قال الكاتب النابه فى ختام كلمته : « سلوا الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي كيف راجت كتبه أدبياً ومعنوياً ومادياً وكيف انتفع بها النشء الحديث فى دنيا تأليف مصرية صميمة كلها قحط وجدب وإملاق »

وقد يهم القارئ من هذا أننا نغرى بالرواج للكتابة فى الموضوعات التى اختارها الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك

ولا شك عندنا فى أن الرافعي بك لم يكتب فى هذه الموضوعات لرواجها ، ولكنه كتب فيها لأنها تروقه وبحسنها .

ومهما يكن من رواج الكتب فى مصر ، فإن المحامى الذى يبلغ فى عالم المحاماة مكانة الرافعي بك يكسب من قضاياه أضعاف ما يكسبه من كتبه ، ولا يحتاج فى دراسة مائة قضية إلى الوقت الذى يشغله بمراجعة المصادر التاريخية لكتاب واحد

وكذلك نحن لم نؤلف « عبقرية محمد » لرواجه لأننا طبعنا منه فى الطبعة الأولى أقل مما طبعناه من كتب أخرى ألفناها ، ولم يكن فى وسعنا بداهة أن نعدل عن تأليفه إذا لم تنفد الطبعة الأولى بعد أسابيع معدودة !

وإننا لنعرف موضوعات شتى يقبل عليها عشرات الألوف من القراء وتستغنى عن الإعلانات والترويج

فرواية من الروايات المكشوفة تترجم أو تؤلف قد تطبع منها عشرات الألوف وقد تباع للصور المتحركة وقد تستهوى من القراء والقارئات من ليس يستهويهم تاريخ أمة أو سيرة عظيم ...

وهذه الروايات أسهل فى تأليفها أو ترجمتها من الكتب التى تراجع من أجلها المصادر الكثيرة بين عربية وأوربية ولا تخلو من عنت فى التمحيص والتحضير

ولكننا نعدل عنها إلى الموضوعات التى هى أصعب منها وأقل رواجاً بين قرائنا

بل نعدل عنها ونحن نعلم أن المدجلين بالروايات المكشوفة يسوقونها مساق الفتوح العصرية والجرأة الفكرية ويعدونها من دلائل النزعة الحديثة والنهضة المقبلة والتحرر من التراث العتيق والطلاقة من القيود ، وإننا لا نسلم من اتهام هؤلاء الأدعياء لنا بالجمود أو مصانعة الجامدين إذ نكتب فى سيرة الصديق والفاروق

فلو كان الرواج مغرياً لنا لكانت الكتابة فى هذه الأغراض المقبولة أولى وأجدى

ولو كان الرواج مغرياً لنا لما حاربنا المذاهب التى وراءها دول ضخام تكافئ من يدعو إليها ويبشر بأناجيلها . ولا نظن أن الكاتب النابه ينكر علينا أن تلك الدول تعرف قيم الأقلام التى تستخدمها فى دعوتها وتحب أن تستخدم منها ما ينفعها

فنحن نكتب ما نريده ولا يعنينا أن يروج أو لا يروج . وواجبنا الذى نلتزمه فى الكتابة — ولا نعرف واجباً غيره — هو أن نعنى بالموضوع الذى نتصدى له ونحس القدرة عليه

ولسنا نقترح على الكاتب النابه أن يعدل عن اقتراحه إذا كان مؤمناً بصوابه ؛ ولكننا نقول إننا لو عملنا به لما عدمنا مقترحاً آخر يقول : ما هذه الحوادث اليومية التى تخوضون فيها وقد رأيناها أو سمعنا من رآها ؟ دعوا هذا وا كتبوا لنا شيئاً من عجائب المجهول ...

ويومئذ لا تكون حجته أضعف من حجة الكاتب النابه صاحب الاقتراح ؟

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شـــجون

للدكتور زكى مبـارك

الـكتاب هو سر العظمة الأوربيـة — ماضينا فى صحبة الـكتاب — الأستاذ المهياوى — بين المدارس والـكليات

الـكتاب ...

إن الـكتاب هو سر العظمة الأوربية ، فـما تفوقت أوربا إلا بفضل الحرص على مُسايرة الحيوات العقلية فى الشرق والغرب ، وما ارتفع رجل فى أوربا إلا وهو مزوّد بأصدق وأجود ما صدر فى العقول فى القديم والحديث

ويستطيع من يعرف إحدى اللغات الأوربية أن يطّلع على أشهر ما جادت به القرائح فى أكثر البلاد ، وهذه حقيقة يعرفها من عاش زمناً فى مدينة مثل لندن أو باريس أو برلين

الحق أننا لم نفهم أوربا فهماً صحيحاً ، ولم نعرف السر فى حيويتها العارمة ، ولم نلمح من خصائصها غير أطياف

إن أوربا مزوّدة بأزواد عقلية لا تخطر لأكثر الناس فى بال ، وقد نعرف غداً أو بعد غد أن المستر تشيرشل لم تصرفه مكاره الحرب عن صِلاته بالمكاتب ودور التجليد ، وقد نعرف أنه لم يخرج من بلد إلا وفى يده كتاب ، على كثرة ما زار من البلاد فى أعوام الحرب

أوربا المحاربة لا تخيفنى ، فقد هزمناها فى الحروب الصليبية ، وإنمـا تخيفنى أوربا المفـكّرة ، أوربا التى تؤلف وتقرأ وتستفيد فى كل وقت ، بلا استثناء وقت الحروب

هل تذكرون كلمة كارليل حين قال إن انجلترا تفضل آثار شكسبير على أقطار الهند ، لو أكرهتها الحوادث على الاكتفاء بأحد هذين المغنَمين ؟

تلك هى العقلية الأوربية ، وذلك هو الفهم الذى يمتاز به أولئك الناس

ماضينا فى صحبة الـكتاب

لنا ماضٍ مجيد حفظه التاريخ ، فقد سبقنا أوربا إلى تمدين الشرق والغرب ، وخلّف أجدادنا آثاراً عجز عن محوها الزمان فكيف ظفروا بذلك الحظ من الخلود ؟

الـكتاب هو السرّ فى عظمة أجدادنا ، فقد كان فيهم من يحجّ بيت الله وهو يرمى إلى غاية غير أداء فريضة الحج ، كأن يقف فى عرفات للسؤال عن كتاب

وعدوان المغول على بغداد لم تُسجَّل فظائعه فى غير ظاهرة واحدة هى تزويد أسماك دجلة بما كان فى بغداد من نفائس المؤلفات

والحريق الذى ساول الفسطاط ستين يوماً لم يذكر المؤرخون من بلائه غير اجتياحه لذخائر المكتبات

وكان المسلمون حين يستنفرون إخوانهم للدفاع عن بلد من بلاد الأندلس يقولون إنه وطن النوابغ من المؤلفين والشعراء .

وحين تفرّق شمل المسلمين فى بعض العهود الماضية وجد النابهون لآثارهم العلمية والأدبية والتشريعية ما يعمر مئات المكاتب ، ويضمن الزاد النفيس للأفهام والعقول ، بحيث لا تخلو مدينة من آثارهم الجياد

إن أساس المدنية يرتكز على العلم فى جميع العصور ، حتى عصور الظلم والاستبداد ، ألم تروا أن مغامرات هتلر أوحى بها كتاب ؟

إن المدافع والطيارات والأساطيل ليست إلا تعابير عن جانب من طغيان القوة الفكرية ، كما أن الآداب والفنون تعابير عن جانب من ذلك الطغيان

لا تسمعوا لمن يثبطونكم عن الحياة الفكرية ، بحجة أن هذا الزمن ليس زمن الفكر وإنما هو زمن القوة ، فالفكر هو المصدر لكل قوة ، ولو تمثلت فى أبشع الألوان

ومصر تتمتع اليوم بسمعة طيبة من الناحية الفكرية ، وهى تدعوكم إلى مواصلة الجهاد العلمى والأدبى ، لتصلوا بها إلى ما تسمو إليه من العزة بين كبار الشعوب

أنا لا أكتفى بأن يكون حظ مصر من المجد القديم هو الأستاذية لفلاسفة اليونان فى التاريخ القديم ، وأكره أن يكون حظ مصر فى العهد الإسلامى مقصوراً على رعايتها للحضارة الإسلامية بعد سقوط بغداد

انظروا إلى الأمام ولا تنظروا إلى الوراء ، فالفكر من حظ مصر فى جميع العهود ، وسيكون لهـا فى المستقبل تاريخ يفوق جميع التواريخ ، وستعرفون صدق هذه النبُوءة بعد حين .

الأُستاذ محمد الههياوى

فُجِع الأدب وفجعت الوطنية فى رجل كان من الأعلام بين رجال الأدب ورجال الوطنية ، وهو أخونا الأستاذ محمد الههياوى ، على روحه ألف تحية وألف سلام

مات الههياوى بعد أن كافح فى سبيل الأدب وفى سبيل الوطن أعواماً نيَّفتْ على الثلاثين . والذين عرفوا الههياوى كما عرفته يؤمنون بأنه كان قوة وطنية وأدبية قليلة الأمثال

نشأ الههياوى نشأة أزهرية — وكان أبوه من كبار العلماء بالأزهر الشريف — ولـكنه تمرد على الأزهر فى وقتٍ مبكر ، وانطلق إلى ميدان الحياة الأدبية والوطنية بقوة وعنف ، ومضى يصاول ذات اليمين وذات الشمال ، إلى أن ظفر من قلوب عارفيه بمنزلة لا يظفر بمثلها إلا كرام الـكاتبين

يجب أن تقول كلمة الحق فى الأستاذ الههياوى ، بعد أن رأينا أنه لم يُرثَ إلا بكلمات قصار لا تنقل من شمائله غير ملامح غامضة المعانى ، وبعد أن رأينا أصدقاءه يمتّون على الوفاء بأنهم جازفوا براحتهم فشيعوا جنازته فى عصرية وهاجة القيظ !

كان الههياوى يجدّ فى كل ما يكتب ، وكان جِدُّهُ أثراً من صدق العقيدة فى الأدب والوطنية والدين ، وكان مع جده الصارم غاية فى حلاوة الدعابة ؛ فهو المنشئ لأكثر دعابات « الـكشكول » يوم كان لمجلة الـكشكول سلطان

وفى الأعوام التى اشتد فيها الخلاف بين الحزب الوطنى والوفد المصرى كان الههياوى أخطر كاتب نافح عن الحزب الوطنى ، وقد أبلى بلاء حسناً فى مقاومة « مشروع ملنر » ، ولم يتركه إلا بعد أن مزقه كل ممزق ، ومجموعة « جريدة الأمة » تشهد بصدق ما نقول .

اشترك الههياوى فى تحرير كثير من الجرائد والمجلات ، وكتب فى الجد وفى الهزل ، ولـكنه فى جميع أحواله كان قوى المنطق ، متين الأسلوب

وكان الههياوى شاعراً من الطراز الجيد ، ولو جُمعت قصائده الجدية لـكان من مجموعها ديوان نفيس . أما قصائده الهزلية فهى غاية فى اللطافة ، وكانت توقع باسم « الشاعر إياه » فى مجلة الـكشكول

وإذا كان الرجوع إلى الجرائد القديمة يُتعب من يريد معرفة القيمة الصحيحة لهذا الـكاتب ، فأنا أوصى بمراجعة كتاب « الطبع فى الشعر » وقد نشرته « مكتبة النهضة » ، وهو كتاب يشهد لمؤلفه بالبراعة الفائقة فى شرح الدقائق من أسرار البيان

وللههياوى كتاب اسمه « مصر فى ثلثى قرن » ، وهو كتاب يصور آمال مصر وآلامها فى العصر الحديث ، وفيه وثبات من الفكر ، وبوارق من الخيال

وقالت انجلترا بعد رفع الحماية « الـكلمة الآن لمصر » فنشر الههياوى رسالة بعنوان :

« الـكلمة لمصر ، ولـكن ليس لمصر أن تتكلم »

وهى رسالة شرح فيها ما كانت تعانى مصر بسبب الاحتلال

وكان المنفلوطى هدفاً للناقدين فى أوج شهرته الأدبية ، ولـكن الههياوى تفرَّدَ برسالة طريفة سماها « قصص المنفلوطى » وسيكون لها مكان حين يؤرِّخ النقد الأدبى فى هذا الجيل

وأول كتاب نشره الههياوى هو « الفرائد » وهو مجموعة ما كتب فى مطلع صباه ، ولو رجعنا إليه لرأيناه على سذاجته صوراً تشهد بحيوية الإحساس ويقظة الوجدان

أخى الأستاذ الههياوى

أفى الحق أنك مت وأنى لن أجدك إن حاولت أن أراك ؟

لا يُتعبنى أن أتحيز لك فأختلق محاسن لم تـكن فيك ، وإنما يتعبنى أن أبرز محاسنك الأصيلة على الوجه اللائق بمكانها الرفيع

أفى الحق أننا لن نلتقى فى الدنيا مرة ثانية ، ولن نقضى أياماً كالأيام التى قضيناها فى سنتريس بين الزهر والقمر والماء ؟ أفى الحق أننا لن نتصاول بالمعقول كما كنا نصنع عند التلاقى ؟

تلك أيامٌ خلَتْ ، ولن تعود ، فعليك وعليها تحية الشوق الذى لا يموت

لو رأيت فيك ما يعاب لخفّ حزنى عليك ، ولـكنى لم أرك

إلا روحاً أرق من الزهر وأقسي من الزمان ، وتلك هي الخصيصة الأساسية لأحرار الرجال

كنا صديقين ، وكنت أنت الأكرم والأطيب ، فكيف أجزيك وقد ضاعت فرص الجزاء ؟

وهل تنتفع بكلمة في رثائك وقد مضيت إلى نعيم لا يعادله نعيم ؟

إن موتك دليل على خلود الروح ، فما يجوز في نظر العقل أن تكون نهايتك هي النهاية ، وقد قضيت حياتك في شقاء بسبب الحرص على صدق الوطنية وصدق اليقين

هل تعرف « هيبا » أنك نقشت اسمها على جبين الزمان ؟ وهل تعرف « مصر » أنها فُجعت فيك ؟ وهل تعرف قيثارة الشعر أنها فقدت وتراً كان غاية في حنان الرنين ؟

هذا ما أملك في رثائك ، أيها الصديق الغالي ، وهو أقل مما يجب لك ، وعليّ عهد الله أن أشيد بذكراك إلى آخر الزمان

بين المدارس والكليات

بدت في هذا العام ظاهرة تستحق التسجيل ، لأنها لم تقع من قبل ، وهي تأخر المدارس عن الكليات في العودة إلى استئناف الجهاد ، ومحاربة الجهل أشرف ضروب الجهاد

أيكون ذلك لأن الطلبة أقوى من التلاميذ ؟ أيكون ذلك لأن الأساتذة أحرص من المدرسين ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما هي فرصة أتاحها القدر لنعرف كيف أسرفنا في استعجال الناشئين إلى ساحات النضال

الطالب في الكلية غير التلميذ في المدرسة ، فالأول جاز دور التكوين الجسماني ، فعليه أن يحمل الواجب في صدره وإن كان في إجازة رسمية . أما التلميذ فلا يزال جسمه في دور التكوين ، وراحته من متاعب الدرس تعود عليه بالنفع الجزيل

الطالب يعود إلى الكلية وهو على بينة مما سيدرس ، فهو يعود جذلان ، أما التلميذ فيجهل ما سيعاني من مصاعب الدروس ، لأنه تلميذ ، والمنهاج يُفرض فرضاً على التلاميذ

والأستاذ بالكلية غير المدرس بالمدرسة ، فالأول يضع بنفسه موضوعات الدروس كما يشاء ، وفي حدود ما يطيق ، أما الثاني فيواجه موضوعات يوجبها « الجدول » ، وقد يكون فيها ما ألقاه بالنص والفص عدداً من السنين

أما بعد فماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص على أن الإجازات ليست من الأوقات الضوائع ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هي مواسم لتكوين الأبدان والأرواح والأحاسيس ، وتلاميذ المدارس أحوج إليها من طلبة الكليات ، وما وقع في هذه السنة وقع بالمصادفة ، ولكني أحب أن يكون واجباً تراعيه في الأعوام المقبلات

هل تذكرون أن إجازات المدارس الأولية زادت في هذا العام عن ثلاثة أشهر ، وأن ناساً عدّوها ترفقاً خرج عن الحدود ؟

أنتم تذكرون هذا ، ولكنكم تنسون أن الأطفال بالمدارس الأولية كانوا يعودون إلى الدروس في شهر أغسطس وهو « آب ، اللهاب » ، كما يسميه أهل الشام والعراق

ترفقوا قليلا بالأطفال ، واذكروا أنهم في عهد التكوين ، وأن راحتهم من الدروس غذاء يفوق كل غذاء

ثم ماذا ؟ ثم انتهز الفرصة فأتحدث عن مشكلة تعانيها المدارس ولا تعانيها الكليات ، وسأفصّل حديثها بدون إسهاب :

هذا مدرس عينته الحكومة بمدرسة ابتدائية وفرضت عليه أن يلقي أربعة وعشرين درساً في الأسبوع ، فاحتمل العبء راضياً لا كارهاً لأنه في عنفوان الشباب

وهذا المدرس نفسه ظل يخدم العلم بالمدارس الابتدائية إلى أن شارف التاسعة والخمسين ، فكيف يجوز أن يحمل من أعباء الدروس ما كان يحمل قبل أن يصل إلى الثلاثين ؟

عليه أن يحتمل أو يعتزل ، فالمدارس تعرف التلاميذ ولا تعرف المدرسين ، لأن نتائج الامتحان هي العنوان ! ولو أنها خففت العبء عن المدرس الذي تقدمت به السن لقدّم لها منافع تفوق الحدود

المدرسة الفلانية هي أولى المدارس ، لأن تلاميذها بلغوا حدود التفوق ، ولم تكن أولى المدارس لأن مدرسيها ظلوا من نكد العيش في أمان

التلميذ هو المقصود بالعطف والرعاية ، أما المدرس فهو جلمود لا يجوز عليه الإفضال

هو مدرس ، ومهنة التدريس « مهنة بلا مجد » فليصبر كارهاً على جدول كان يطيقه قبل الثلاثين ، وليقل « راضياً » إنه يطيقه في التاسعة والخمسين !

إلى من توجه القول ؟

توجيه إلى المراقبين بوزارة المعارف وقد اكتوت أيديهم بالتعليم ، ولطف الله بهم فلم يرهقهم بالجدول الكامل إلى أن يشارفوا سنّ المعاش

إنى أنظر إلى أولئك المراقبين بعين الاحترام ، لماضيهم الجميل فى خدمة النهضة التعليمية ، ولكنى أعجب من سكوتهم عن مشكلة لا يجوز عنها السكوت ، وهى اختلاف القدرة البشرية باختلاف الأسنان

ثم ماذا ؟ هـذا مدرس قاتلَ المتاعب حتى انتصر ، فبلغ الستين وهو بعافية ، فكيف يحال إلى المعاش ليعانى الفاقة فى أعوامه الباقية ؟

أما بعد — وقد تعبت من أما بعد — فهـذه ملاحظات أقدمها إلى معالى وزير المعارف ، راجياً أن تظفر من اهتمامه بما هى له أهل ، مع الاعتراف بأن مهنتنا قامت على أساس التضحية ، وأن حظنا هو أجل الحظوظ فى أسوأ الفروض

وهل يشكو من يستطيع القول بأن له تلاميذ هم الدرة الغالية فى تاج الوجود ؟

زكى مبارك

على مكتب رئيس التحرير

للأستاذ دريني خشبة

كان ذلك فى العشرة الأواخر من رمضان الماضى ...

وكانت الساعة الثانية تكاد تنتصف ... تلك الساعة التى يهمد فيها الجسم ، ويخمد الذهن ، وتفتر الأعصاب ، ويستعد فيها الموظفون فى جميع دواوين الحكومة للانصراف

وكنت قد انتهزت فرصة وجود مجموعة من الأدباء المعروفين جاءوا لزيارتنا فأثرت موضوع الشعر المرسل Blank Verse ... وكان الحوار قد استحر برغم همود الأجسام وخمود الأذهان وفتور الأعصاب ، فهذا يرى أنه قد آن الأوان لإدخال هذا اللون من ألوان الشعر فى القريض العربى ، وذاك يستنكره ويضيق به ؛ وهذا يعرف ما له من الخطر فى آداب اللغات الأوربية ولا سيما فى نظم الملحمة والدرامة والقصة ، إلا أنه لا يتصور كيف يمكن إلقاءه على الشعر العربى الذى تتحكمُ فيه القافية هذا التحكم السخيف الذى اختص به من دون أشعار العالم

ثم دعيت إلى التليفون فجأة ، وإذا أخى محمد ... مدير إدارة الرسالة يدعونى إلى الدار لكتابة مقال لأحد العددين اللذين يطبعان قبل العيد دفعة واحدة ... فقلت له : ولماذا أحضر إلى الدار ولم أتعود الكتابة خارج منزلى ؟ فذكر لى : إن هذا هو ما أشار به الأستاذ رئيس التحرير . ثم أردف هذا بأنه ينبغى أن يُفرغ من طبع العدد كله مساء ذلك اليوم ، ولذلك (فيجب) أن يبدأ الطبع فى تمام الساعة الرابعة ... أى بعد ساعتين ... والأستاذ فى المنصورة (على فكرة !)

فتبسمت ، وقلت له ... إذن ، سأحضر !

ولم يعد فى ذهنى منذ هذه اللحظة أثر للشعر المرسل ، ولا للشعر الحر ، ولا لتلك الفروق الواسعة بين الشعر المرسل والشعر الحر ... بل نسيت موضوع الشعر كله ... بل نسيت زائرىّ الأفاضل ، وإن كنت قد وضعت ذراعى فى ذراع واحد منهم ، ثم توجهت معه إلى الرسالة ... سيراً على الأقدام ... !

وكان صديقى هذا هو السبب فى إثارة موضوع الشعر المرسل ، فكان يحاول وصل الحوار فى الطريق ، ولكن هيهات ... ! لقد كنت عنه وعن الشعر المرسل فى شغل ... وكان أهم ما يشغلنى هو الموضوع الذى تسهل الكتابة عنه فى رمضان ، وفى مثل هذا الوقت من النهار ، وفى مثل حالتى من التعب وخمود الذهن وفتور الأعصاب ، ... ثم ... فى ساعة ... ساعة واحدة ! وأين ؟ بعيداً عن الغرفة الهادئة التى تشرف على حدائق شبرا الغناء وحقولها الفيحاء ، والتى تعودت أن أكتب فيها فى سهولة ويسر ، وفى غير مشقة أو عناء ...

وكنت كلما صرفت صديقى عن موضوع الشعر المرسل أبى إلا أن يعود إليه ... فقلت : إذن أشغله بما يشغلنى ، وأشركه فى البحث عن الموضوع الذى تسهل الكتابة فيه بالرغم مما يحدق به من تلك الظروف ... فقلت له :

افرض يا صديقى العزيز أنك عدت تلميذاً فى المدارس الثانوية ، لا طالباً فى الجامعة . . . أو افرض أنك رأيت هـذا فيما يرى النائم ، وأنك تجلس الآن — أى فى المنام — فى لجنة الامتحان لشهادة الثقافة مثلا ... مثلا ... وأنك تسلمت ورقة

أسئلة اللغة العربية ، فوجدت في رأسها في المكان المخصص لأسئلة الإنشاء هـذا السؤال : إختر موضوعاً من عندك يتعلق بمشكلة اجتماعية من مشكلات هذا العصر واكتب فيه من ثلاثين إلى أربعين سطراً (بشرط ألا تتعرضَ للأحزاب المصرية بخير أو شر !) فماذا عسيت كنت تختار ؟

وافتر صديق عن ابتسامة خبيثة طويلة عريضة وقال : كنت أكتب عن الشعر المرسل !

فقلت له : وهل للشعر المرسل علاقة بالمشكلات الاجتماعية الحاضرة ؟ أتريد أن تشق عليّ أو تشق صدري يا أخي ؟

فقال لي وهو ما زال محتفظاً لفمه الهائل بابتسامته الصائمة الظامئة الجائمة : كلا ... ولكنه الموضوع الوحيد الذي أستطيع أن أكتب عنه بحرية مطلقة ، دون أن أتعرض للأحزاب المصرية بخير أو بشر !

وكنا قد بلغنا دار الرسالة فلم أرد عليه ؛ فلما صعدنا إلى الإدارة استأذنته في ساعة أغيب عنه طوالها بعد أن شغلته بكتاب رجوت أن يتلهى به عن الشعر المرسل ... ولم يفته أن يسألني فيم أصرف تلك الساعة من هذه الظهيرة القائظة ، فتبسمت ابتسامة أطول من ابتسامته وأعرض ، وأشد جوعا وظمأ ، ثم قلت له : حيث أجيب عن السؤال الأول من أسئلة الإنشاء في امتحان الثقافة يا صديق ، وسأجتهد ألا أخرج عن الموضوع كما خرجت ... وسأجيب في اليقظة لا في المنام !

ولست أفهم هل فطن أخي هذا إلى ما عنيت ، ولكني فهمت من أخي محمد أنني سأجلس لكتابة المقال على مكتب الأستاذ رئيس التحرير !

عند ذلك تعاظمني الأمر جداً ، ونظرت إلى مكتب الأستاذ رئيس التحرير نظرة عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة . . .

أجل يا صديقي القارىء ...

فلقد كنت تلميذاً للأستاذ الزيات منذ نحو من ربع قرن ! وكنت قبل أن ألقاه في المدرسة قد اتصلت به من طريق كتبه قبل ذلك ... فلقد أعطاني ابن عم لي قصة « آلام فرتر » لأقرأها ... أو لأحفظها ... كما أعطاني صديق آخر كتاب « تاريخ الأدب العربي » ليكون لي نبراساً في مطالعاتي . . . في دنيا هذا الأدب . . . ومنذ ذلك العهد وصلتي بالزيات أقوى صلاتي بالناس جميعاً ، ولا أذكر أن الزيات كتب كلمة أو خط حرفا أو أصدر كتاباً لم أقتنه ولم أقرأه ولم أشتغل به

نظرت إلى مكتب رئيس التحرير إذن ، وقد تعاظمني أمر المقال المطلوب الذي لم أهتد إلى موضوعه بعد ، كما تعاظمني أن أجلس ، أنا التلميذ المتواضع المهذب المؤدب — ولا مؤاخذة ! — إلى ذاك المكتب العتيد ، مكتب الأستاذ المعلم المهذب المؤدِّب ، ذلك المكتب الذي جعلت أحلق فيه مَشْبوها مشدوها ، وأنظر إليه تلك النظرة التي عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة

كان عليّ أن أفرغ من المقال — الذي لم أهتد إلى موضوعه بعد — في ساعة ، وقد كان أخي محمد يحسب أنه وقد غلّق عليّ أبواب الحجرة المقدسة ، سيتنزل على الوحي السريع المؤاتي فأدفع إليه بالمقال في نصف تلك الساعة أو في ربعها ، وعند ذلك يفرغ هو كما يفرغ عمال المطبعة الذين كانوا يترقبون إجازة العيد بالصبر الذي يصفه البلغاء بأنه صبر فارغ — دون أن أدري لماذا ؟

كان أخي محمد يُمني نفسه بهذا كله ، وكان تليفون الرسالة الموجود إلى يساري في الحجرة المقدسة يرن فيقدم السيد محمد مسرعاً ليتولى المكالمة ، وكنت أراه يمثر نظراته فوق الصحيفة التي أعدت للمقال المنشود فيراها لا تزال بيضاء . بيضاء ناصعة . أو بيضاء خاوية ... وكنت أرى نظراته وقد ارتدت إليه حاسرة خاسرة فأرثي له ، ولا أرثي لنفسي ... ولماذا أرثي لنفسي ، وقد كنت أستمتع بلحظات سعيدة هُن من أعظم اللحظات في حياتي ؟ ألم أكن جالساً أضرب أخماساً لأسداس فوق مكتب أستاذي المعظم ؟ هذا المكتب الذي ربما كتب عليه الزيات فصولاً من كتابه الثمين في تاريخ الأدب العربي ، أو ترجم فوقه فصلاً أو فصلين أو فصولاً كثيرة من آلام فرتر أو من رفائيل ... أو دبّج عنده خمسين أو ستين من افتتاحياته العجيبة التي جمعها في وحي الرسالة ولم يهد إليّ منها نسخة مع ما كان يعرف من مرضي وانقطاعي عن الدنيا إذ ذاك ، ومع أنه أهدى منها إلى

جميع الناس ، بالرغم مما ذكر لى مرة أنه لا يهدى كتبه إلى أحد ... ذكرت ذلك كله واشتغلت به عن موضوع المقال ، وذكرت إلى ذلك كله عهود الصبا وشرخ الشباب ... أيام أن كان الزيات العظيم آنق معلم مُعْتَمّ فى مصر ، والشيخ الذى يفتخر الطلاب بالتأدب عليه والتلمذ له

بيد أن بعض الحوادث سيطرت على كل تلك الذكريات واستبدت بها ، فقد كان الأستاذ يملى علينا يوماً تمريناً فى البلاغة وكان يملى من ذاكرته دائماً ... فلما أملى بيتىْ جرير المشهورين فى العيون[1] علق عليهما هذا التعليق التقليدى الذى تحشى به كتب الأدب ، من أنهما أحسن ما قيل فى العيون ... وهنا بدا على شىء من الضيق جعلنى أبتسم كالذى يستهزىء بهذا الكلام ، فلما سألنى الزيات ماذا يضحكنى أجبته بصراحة : هذا التعليق الذى تسمح به وبأمثاله كتب الأدب ، فسألنى : ولمه ؟ قلت لأننى أحفظ فى وصف العيون شعراً هو فى نظرى أروع من شعر جرير وأنا مع هـذا لا أعده أروع ما قيل فى العيون ، ولا أروع ما ينتظر أن يقال فيها ، فسألنى أن أتلو شيئاً مما أحفظ ، فقلت :

نُجْلٌ تظل حوالها نواظرنا صرعى من الوجد فوق الخد والجيد
لمن إعجاز عيسى إن أردن بنا خيراً وفيهن أسرار المناقيد

وهنا سألنى ، أو أمرنى ، أن أكتبهما على السبورة ، فاعتذرت برداءة خطى الذى يلقى منه عمال مطبعة الرسالة الأمرين ، فكتبهما الزيات العظيم بيده ، وكان خطه دقيقاً أنيقاً جيداً كعهده إلى اليوم ، ثم التفت إلىّ وسألنى عن اسم الشاعر صاحب البيتين ، فقلت هما لمسلم بن الوليد ... فقال ، لا ... إننى أحفظ ديوان مسلم ولا أعرف أنه قالهما ... فقلت : هما إذن للعباس بن الأحنف ... فقال : ولا للعباس يا خشبة ... فقلت : هما لى إذن وأنا ناظمهما ... وهنا ثارت فى الفصل عاصفة شديدة من الضحك ، وأصر إخوانى الطلبة على أن يسمعوا القصيدة كلها ، فأبيت ، واستنجدت بالزيات العظيم . فلما سألنى : وما ذا يمنعك ؟ أسررت إليه أن معظم القصيدة فى الأدب المكشوف الذى أستحيي أن أنشده ... فاستطاع حفظه الله أن يصرف شياطين طلبة (الأعدادية !) عنى

ولم تحصل طبعاً موازنة بين ما قلت وما قال جرير الخالد الذى لا يعقل أن يطاوله فتى فى السابعة عشرة من عمره

ومما كانت ذاكرتى تضطرب به اضطراباً شديداً هذا الحادث الذى وقع لى مرة مع أحد أساتذة اللغة العربية بالمدرسة ، فقد كان هذا الأستاذ يدرس لنا الأدب قبل أن يعوضنا الله منه بالأستاذ الزيات ، وقد كنت دائم الاختلاف معه خصوصاً فى كثير من تعبيراته العربية ، وقد ظن الأستاذ أنى أستخف بمحصوله العلمى فرفع الأمر إلى ناظر المدرسة الذى تعجل فانتهرنى على صورة من الصور ... وقد لِنْتُ للناظر ولكن لا على حساب كرامتى ؛ ثم رجوته أن يُحكّم فى أوجه الخلاف الأستاذ الزيات ... وقد عرفت أنه أخذ باقتراحى ، لأن المدرسة عهدت بعد أسبوع أو نحوه بالفصول (الصغيرة) إلى الأستاذ ، وفوجئنا مفاجأة سارة بدخول الأستاذ الزيات ليدرس لنا مادة الأدب علاوة على المواد العربية الأخرى كلها

وكلفنا الزيات مرة بالكتابة عن المرأة المصرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ثم انتهت الحصة ولم أفرغ من الكتابة بعد وإن كنت قد كتبت اثنتى عشرة صفحة . فلما كانت الحصة التالية تقدمت إلى أستاذى الجليل بكراستين كاملتين فى موضوع المرأة المصرية . ولما سألنى متى كتبت كل هذا (الهراء !) عبست العبوسة الهائلة التى كان لا بد لغرور التلميذ المراهق أن يعبسها ، ثم قلت : ليس ما كتبت هراء ، ولكنه ملخص دعوة قاسم بك أمين ، وما رد به المحافظون والرجعيون عليه ، وعلى رأسهم محمد طلعت حرب بك ... ثم يلى ذلك رأيى ، (أى والله قلت هـذا بالفم المتلىء المتهدج !) بصفتى مصريا أولا وبصفتى مسلماً ثانياً ... وكنت أحبذ آراء المرحوم قاسم بك فى ذلك الحين إلى حد الجنون ، ولا أرى فيها ما ينافى الدين ولا الكرامة ولا الحشمة . ولكن الزيات تبسم فى هدوء وسكينة ثم قال : لا بأس ، لا بأس ! ولكن ابحث لك عن معلم غيرى يصحح لك كراستين كاملتين فى موضوع واحد . فقلت . . . وهى قولة تفيض كبراً ويكاد يخنقها الغرور : على كل حال لقد كتبت فى الموضوع الذى

(١) إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

كافتتنا به ، ولست أرى أن ما كتبت فى حاجة إلى تصحيح (!!)

والمدهش أن الزيات — بعد كل هذه الوقاحة — لم يزدد لى إلا محبة ، ولم يجزنى إلا بكل مودة ، ولم يقابلنى إلا بكل رعاية ... مع أننى انتهزت فرصة تفتيش محمد بك الخضرى على المدرسة بعد ذلك بأيام قلائل ، وقدمت له الكراستين مباهياً . . . فشجعنى الرجل عليه رحمة الله بكلمات ، ووعدنى بقراءة موضوعى الطويل ، ورد الكراستين حين يفرغ منهما . وأكبر ظنى أنه لم يفتحهما خارج المدرسة ، لأننى فقدتهما إلى الأبد . . . فيا ترى ! ما ذا كنت قد كتبت فيهما ؟!

هذا بعض ما كان يهجس فى رُوعى من ذكريات أستاذى رئيس التحرير الذى كنت أجلس على مكتبه مشتغلاً بماضىّ معه ، عن الموضوع الذى يجب أن أفرغ من كتابته فى نصف ساعة ، وكان النصف الآخر قد مضى فى استعراض هذه الذكريات ...

ثم دخل أخى محمد فجأة لأمر ما من أمور الإدارة ، فلما رأى الصحيفة بيضاء هذه المرة أيضاً ، كآخر عهده بها ، اربدّ وجهه ، وشحب شحوباً شديداً . وكنت قد أخذت أحلم أحلاما أخرى من نوع آخر ، غير أحلامى بالذكريات السالفة ، فقد انتقل خيالى السابح إلى أدب الأستاذ الزيات شكلا وموضوعاً ، وجعلت أستعرض « فرتر » و « رفائيل » استعراضاً هادئاً . فها هو ذا « فرتر » يقبض على مسدسه لينتحر . . . وها هو ذا الدم يتفجر من جبينه بعد أن دوّت تلك الرصاصة الطائشة . . . وها أنذا أبكى — يوم قرأت فرتر لأول مرة بالطبع — متأثراً أشد التأثر . . . ثم ها هى ذى جوليا ، حبيبة رفائيل ، تموت مما بها من مرض ، وها أنذا أتلو على رفاتها قصيدة لامرتين : البحيرة ، ثم قصيدته : الوحدة ، بقلم الأستاذ الزيات ... وبعد ذلك أتذكر وصف الفتى رفائيل ، ذلك الوصف الرائع فى العربية بقلم الزيات ، وفى الفرنسية بقلم لامرتين ، فأزداد انصرافاً عن الموضوع الضائع الذى لم أستطع أن أهتدى إليه بعد ...

ونظرت فرأيت أخى محمداً ما يزال واقفاً أمامى . فقلت له : ما هذه الضجة التى أسمعها فى الشارع ...؟

فقال : العمال ...

فقلت ، وقد خفت أن يكونوا عمال المطبعة : مالهم ؟

فقال : سيتناولون طعام الإفطار على مائدة مولانا !!

فقلت : حفظ الله مولانا ، ومسح الله دموع الفقراء ... عن إذنك يا أخى محمد ... خذ المقال بعد ربع ساعة !

ثم كتبت فى وسط السطر : يا دموع الفقراء !

* * *

وفرغت مما كتبت فى خمس عشرة دقيقة ، وخرجت فوجدت صديق الشاعر ينتظرنى لنصل ما انقطع من حديثنا عن الشعر المرسل ، فأكلناه على أحسن وجه حتى وصلنا إلى ميدان الملكة فريدة ، ومشينا على الأقدام

دريني خشبة

المشكلات

٨ ـ اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لا أريد أن أضع منهاجاً مفصلاً للطريقة الجديدة لتعليم اللغة العربية ، وإنما أريد أن أضع قواعد مجملة تتبع عند وضع هذا المنهاج ، وهذه مبنية على ما تقدم بحثه .

يجب أن يحذف درس القواعد من التعليم الابتدائى والأولى لأن القواعد كما قلنا لا تكسب ملكة اللغة وإنما هى فلسفة للغة وضوابط ؛ فمن الواجب أن نسعى فى أن نكون للناشئ ملكة اللغة أولاً .

يجب أن نستبدل بالقواعد المطالعة الكثيرة والحفظ الكثير والمحادثة والمحاورة .

ويجب أن يختار للتلاميذ ما يحفظونه بحيث يكون مناسباً لأذهانهم لا يعلو عليها ، وتؤلف لهم محاورات يحفظونها ويتحاورون بها وتكون مما تكثر فى الكلام ويحتاج إليها فى الخطاب .

ويجب أن يعلم أن هذه المحفوظات تحفظ لتكون نموذجاً ذهنياً ليقيس عليه كلامه من حيث لا يدرى فيجب أن يعنى بهذه النماذج فتحفظ صحيحة لا غلط فيها ، ومعربة لا لحن فيها ، فإنه إذا حفظها ملحونة ارتسم النموذج فى ذهنه كذلك ، فنسج على منواله ، وأنفق مما اكتسب . ويجب على المدرس أن يراعى تلاميذه ويعلم موطن الضعف فى لغتهم ويزودهم بما يزيل ضعفهم ، ويقوّم لسانهم ، فإن رأى منهم أنهم يجرون الفاعل فى أحاديثهم فليعلم أنهم بحاجة إلى أن يحفظوا كثيراً من المقطوعات فيها أمثلة كثيرة للفاعل ، وليأخذهم بحفظها صحيحة غير ملحونة .

أما مرحلة التعليم الثانوى فيجب أن يظل التعليم بالحفظ والمطالعة فيها ويزاد عليه قواعد اللغة ، ولكن ليست القواعد التى بين أيدى التلاميذ الآن ، بل القواعد التى سأقدم مشروعها ، والتى تجمع الصدق والوضوح والسهولة .

ويجب ألا تقل العناية بالحفظ والمطالعة فى هذه المرحلة بل يجب أن تزيد ، ويجب كما قلنا أن تؤلف لهم روايات تمثيلية أخلاقية يحفظون أدوارها ويقومون بتمثيلها .

ويجب كما قلنا أيضاً أن يكلف التلاميذ بنخل دواوين الأدب واختيار أحسن ما يقرؤون ، ثم يحفظ أحسن ما يختارون ، وأن تعطى درجات لمن قام بعمل ذاتى فى أيام العطلة الصيفية فى الحفظ والمطالعة .

أما مرحلة التعليم العالى فهى كمرحلة التعليم الثانوى فى الحفظ والمطالعة والقواعد ، ولكن يجب أن يتعمق فى درس هذه القواعد ، وفى بحث أصولها وفى الموازنة بين مذاهب العلماء فيها

فأما خلق جو عربى فى المدرسة أو فى دروس اللغة العربية خاصة لا يتكلم الطلاب والمدرسون فيه إلا باللغة العربية ، وتكليف التلاميذ بكتابة موضوعات ينشئونها فقد سبقت الإشارة إليها فيجب أن تدخل فى البرنامج الجديد لتعليم اللغة .

وينبغى أن يعلم أن تكليف التلاميذ بموضوعات ينشئونها ليس لغواً فى طريقتنا كما هو لغو فى الطريقة الأولى ، لأن الطريقة الأولى كانت تكلفهم الإنشاء وليست عندهم معان يكتبونها لقلة ما يطالعون وما يحفظون ، وليست عندهم ملكة اللغة العربية — أما فى الطريقة الحديثة فهى تكلفهم الإنشاء وعندهم معان خلقتها المطالعة والحفظ والاطلاع على آراء العلماء ، وهى تكلفهم وقد رسخت فى نفوسهم ملكة اللغة بالحفظ والمطالعة والحديث ، وسييسر ذلك للمعلمين ويجعل الدرس لذيذاً لأنهم إذ يصححون كراسات التلاميذ فى الإنشاء لا يطلعون على لغو من القول يقذى العين ويغثى النفس كما كان فى الماضى ؛ بل يطلعون على أقوال لها حرمتها ومكانتها إذ هى بنت المطالعة الكثيرة والدرس الطويل .

ذلك أسلوب نراه كفيلاً بكل ما نريد من رقى لغوى وبيانى لأنه كفيل بتكوين الملكات فى اللغة والبيان ، وبهذه الملكات تفهم اللغة وتتذوق أولاً ، وتفهم أصولها وقواعدها ثانياً ، ونراه كفيلاً أيضاً بامتاع المتعلم وإلذاذه ، وكفيلاً بفائدته وخيره .

فأما إمتاع التعليم بهذه الطريقة فإنها تعلم اللغة بآداب السالفين ، وحكم الماضين ، وبالأشعار البليغة ، والخطب الفصيحة ، وتواريخ الأمم ، وفى كل ذلك غذاء للعقل ، وإرضاء للقلب ، وإمتاع للعاطفة ؛ والمرء يسر ويأنس للخبر الغريب ،

والنادرة الطريفة ، والحكمة النافعة ، والمثل السائر ، والجواب المسكت ، والقول السديد ، والرأى الجيد ، وهذا كله جمل فى الطريقة الحديثة مادة لتعليم اللغة ، يطالع فيه ، ويحفظ منه ، والقول إن كان بليغاً ، والمعانى إذا كانت رائعة أنست بها النفوس ، وهشت لها ، ووجدت فيها المتعة واللذة

وأما الفائدة فأى فائدة أعظم من التأدب بآداب العلماء ، والاطلاع على حكمة الحكماء ، والانتفاع بتجارب ذوى التجارب ، وهذا كله جُمل فى طريق تعليم اللغة ، والكلمة الطيبة إذا نزلت بالنفس وعلقت بها واستوثقت منها ، وأيقنت بها ، فإنها تكون هادية ومرشدة ، ينتفع بها المرء فى غدوه ورواحه ، وصبحه ومسائه ، كما قال الله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها »

والمرء ما عاش بحاجة إلى الأدب الذى به تعمر القلوب ، وتزكو النفوس. قال عبد الله بن المقفع : (ولسنا إلى ما يمسك أرماقنا من المأكل والمشرب بأحوج منا إلى ما يثبت عقولنا من الأدب الذى به تفاوت العقول . وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب فى نبات العقل . ولسنا بالكد فى طلب المتاع الذى يلتمس به دفع الضرر والغلبة بأحق منا بالكد فى طلب العلم الذى يلتمس به صلاح الدين والدنيا) وإن المرء قد يفيده الحرف من الأدب ويكون أرد عليه من جيش عرمرم . قال معاوية : لقد رأيتنى وأنا أهم بالفرار يوم صفّين وما يمنعنى إلا قول الشاعر

وقولى كلما جشأت وجاشت ، مكانك تحمدى أو تستريحى

فأين من هذا كله القواعد وليس فيها متعة ولا لذة ، فليست عاطفية حتى تثير العاطفة والوجدان ، وليست عقلية حتى تكون فيها لذة المعقولات لمن اعتاد المعقولات ، إنما اللغة مواضعة واصطلاح ، وقواعد اللغة شرح وتفسير لهذا الاصطلاح ، وليس فيها إلا بعض علل عقلية ، وهذا مغمور وسط علل مدخولة ، وأسباب غير معقولة .

وكما أنها لا تثير لذة ، ولا تبعث متعة ، كذلك لا تحصل منها على فائدة . وما الفائدة منها وهى ليست حكمة ولا مثلاً ولا شرحاً لقانون من قوانين الحياة ، وهى تبعد عن الحياة وتجاربها وعن محيطها الواسع ، وبحرها الجياش المضطرب ، وأن الذى يقرأ كتاباً فى القواعد كالأشمونى أو المطول ، يخرج منه ولم يستفد خبرة بالحياة ، بخلاف من يقرأ كتاباً كالكامل لأبى العباس المبرد ، أو البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه يخرج منه بحكمة الدهور وعظة الأيام ، ومهما فاته فلن تفوته حكمة أو تجربة ، هى عصارة عصور ، وخلاصة دهور .

وما أظن الأمم الإسلامية منيت بما منيت به ، بعد العز والمنعة والقوة والصولة إلا من شغل علمائها وخاصتها طول عمرهم بكتب القواعد التى لا تكشف إلا عن طرف يسير جداً من هذا الكون الواسع ، أو بالحرى لا تكشف عن شىء إلا عن مواضعة واصطلاح وتفسير لهذه المواضعة وهذا الاصطلاح، ومن انصرافهم عن هذا الكون الفسيح وعلومه ، وعلل حوادثه وأسبابها ، وشؤون النفوس وخواطرها ، وتزكيتها وتدسيتها

ما هذا الحظ العاثر ! قد جمع لنا المتقدمون أبواب الحكمة وتجارب الحياة ، وكانوا أحرص الناس على حفظها حتى ينتفع بها من بعدهم ، وكان حرياً بنا أن نغترف من هذه الموارد العذبة ، ونستقى من هذا السلسبيل الصافى ، فكان نصيب النافع منا الإعراض والنفور ، ونصيب غيره الإقبال عليه ، والكلف به

أى شىء أنفع وأجدى من حكم أفادها أصحابها بعد التجارب المرة ، والعثار والخيبة ، والتردى والسقوط ، وبعد النيل تارة ، والإخفاق تارات ، وبعد أن ذاقوا حلو الحياة ومرها ، وصفوها وشوبها ، فأفادتهم التجارب علماً ، فجمعوا هذا العلم فى جمل قصيرة ، وحروف قليلة ، لتكون أقل كلفة ، وأيسر مؤونة ، ليسهل حفظها وادخارها إلى وقت الحاجة لينتفع بها

وهنا شىء أرى من الواجب على أن أنبه عليه ، وهو أن اسم الأدب أطلق كذباً وزوراً على تلك الأبيات من النسيب والغزل المذكر والمؤنث ، وعلى وصف الخمر ومجالس الشراب ، وعلى أبيات البطالة والعجز ، وعلى أخبار الفساق والمجان ، فيجب أن يتحرز من هذه ولا تدخل فى مطالعات التلاميذ ومحفوظاتهم لأن تأثيرها على الأخلاق شديد ، وإفسادها للمروءات عظيم ، فكم من مستقيم أخرجه عكوفه على هذا الأدب الزائف عن استقامته ، وكم من جاد همه المعالى وعظائم الأمور صيره هذا الأدب الزائف مسفاً ضئيل الأمل . ولا يصح أن ينكر هذا كله ؛ فإن تأثير القول فى النفوس عظيم ، وتقمصه للأسباب المتينة قوى . ويجب إذ آمنا بتأثير الكلمة الصالحة

٥ – الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

ولقد حرم القرآن الكريم الصور المجسمة التي تتخذ للعبادة « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » والأنصاب هي الأصنام التي تعبد من دون الله كما ذهب إلى ذلك المفسرون . أما التصوير باعتباره أحد الفنون الجميلة ، فلم يتعرض له القرآن بشيء بينما تناولته كتب السنة المعروفة بشيء من التفصيل إذ ورد بشأنه نحو مئة وسبعين حديثاً : طائفة منها تنص على لعن المصور ، وطائفة تمنع بيع الصور ، وطائفة تذكر أن أصحاب الصور يوم القيامة يعذبون ، وطائفة تبين إثم من يصنع الصور ، وطائفة تحظر استعمال ثوب فيه تصاوير ، وطائفة تشير إلى أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، وطائفة أباحت تصوير ما ليس فيه روح ، وطائفة رخصت في التصوير على الوسائد وما أشبهها

ويجمع علماء الدين الإسلامي على حرمة الصور المجسمة ما لم تكن صغيرة تتخذ لعباً للأطفال أو ناقصة الخلقة لا تستطيع أن تعيش إن قدر ونفخت فيها الروح . أما الصور المسطحة ، فقد انقسموا حيالها إلى قسمين : قسم يرى حرمتها ، وقسم يرى إباحتها . ويشك المستشرقون في صحة الأحاديث التي تنص على حرمة التصوير ويرون أنها مكذوبة على النبي افتعلها فريق من الفقهاء تحت تأثير اليهود الذين اعتنقوا الإسلام — والتوراة تنهى عن التصوير كما بينا آنفاً — أو ترغيباً في التقشف والبساطة في العيش وتنفيراً من الإقبال على الترف ، أو كراهتهم للتصوير نفسه باعتباره من أسلحة السحر . ويرى هؤلاء المستشرقون تبعاً لذلك أن النبي لم يكره الصور ولم ينه عن اتخاذها ، وأن تحريمها لم يظهر إلا بعد وفاته بنحو قرن ونصف عند ما أخذ الفقهاء يجمعون الأحاديث النبوية

ويقف علماء الآثار من هذا الموضوع موقفين متناقضين : فبعضهم يؤيد المستشرقين فيما ذهبوا إليه ويسوقون الأدلة على ذلك بوجود الصور على النقود التي كان يتعامل بها المسلمون مثل الدولة الأموية ، وعلى السكة التي ضربها الأمويون والعباسيون ، ثم بتلك الصور التي وجدت في بعض أبنية الأمويين والعباسيين والسلاجقة ، وبعضهم يرى أن التصوير كان مكروهاً في الإسلام

في النفوس أن نؤمن بتأثير الكلمة السيئة فيها أيضاً ؛ فإن المعاني إذا كسيت الألفاظ الرائعة ، والنظم البارع كانت حبيبة إلى كل نفس ، وكانت مداخلها إلى النفوس خفية ، ونقضها للطبائع المحكمة عظيماً . ولأمر ما حذر النبي (ص) من كل منافق جهول القلب عليم اللسان .

وإذا دار الأمر بين تعليم اللغة من سبيل هذا الأدب الزائف وجهلها — اخترنا جهلها ، لأنه خير لنا أن نعرب في أفعالنا ونلحن في أقوالنا من أن نعرب في أقوالنا ونلحن في أفعالنا

الآن أشعر بما يشعر به من كان يحمل حملاً ثقيلاً فمشى به أميالاً في صحراء محرقة حتى ارفض عرقاً ، وتقطعت أنفاسه تعباً ، ثم بلغ به مستراحاً ومقيلاً ، فرمى بحمله وجلس بجانبه ، فشعر بالراحة من ذلك الحمل الذي بهظه وأنقض ظهره .

أشعر بذلك لأنه كان حملاً ثقيلاً تلك الأمانة التي أخذ الله على العلماء ألا يدخروا نصحاً ولا يجدوا سبيلاً لرفع أممهم إلا أرشدوهم إليه ، ونبهوهم عليه ، وقد كان يحزنني أن تعلمني التجارب ما علمتني من قيمة القواعد في تعليم اللغة ، وضرر الشغل بها عن علوم الحياة ثم أكتمه ولا أبوح به . والآن ولله الحمد قد خرجت من عهدة الكتمان ، فبحت به ، ولم أكتف بالبوح حتى أعلنته ، ولم أكتف بالإعلان حتى دللت عليه . ولم أكتف بالتدليل حتى صرفت القول على وجوه شتى من التزيين والتقبيح والترغيب والتحذير . الآن وضعت الحمل وحمله آخرون .

محمد عرفه

وهذه الكراهية ترجع إلى عصر النبي

والواقع الذى لا شك فيه أن سواد المسلمين من شيعة وسنيين لم ينظروا إلى التصوير نظرة الارتياح؛ ولذلك لم يكن مجالاً لنشاط أغلب فنانيهم . على أن الذين ترخصوا فيه زاولوا رسم الأحياء فى كل العصور الإسلامية تقريباً : فى القرن الثانى بعد الهجرة فى قصير عمرا ، وفى القرن الثالث فى قصور (سر من رأى) ، وفى القرن الرابع فى الحمام الفاطمى بالقاهرة ، وفى القرن الخامس فى مدينة الزهراء ، وفى القرن السادس فى قصر الحمراء ، وفى القرن السابع فى ديار بكر وقونية.



صورة مسطحة على الورق تمثل المعراج القرن العاشر الهجرى
من كتاب الفنون الإيرانية فى العصر الاسلامى للدكتور زكى محمد حسن

وفى هذه الأمثلة التى ذكرناها صور آدمية وحيوانية مسطحة ومجسمة تنطق بأن الفنان المسلم فى هذه الناحية قد أجاد إجادة نسبية بالقياس إلى عصره .

على أن عبقريته الفنية لم تتجل فى هذه الناحية بقدر ما تجلت فى المخطوطات ، فقد شغف المصورون المسلمون بتجميل المخطوطات وتزيين كتب العلم والدين والأدب والتاريخ والصناعة بصور تفسر ما تتضمنه من بحوث وحوادث وما تتناوله من الآلات والحيل الميكانيكية .

فكراهية التصوير كان لها أثر بعيد فى الفن الإسلامى إذ كان عاملاً فعالاً فى نضوج تلك الزخارف الإسلامية الرائعة التى لم ينتج مثلها فن من الفنون السابقة على الإسلام أو اللاحقة له .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق

منهج البحث الاجتماعى

للأســـتاذ إميل دوركايم

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ثانيا – أبواب علم الاجتماع : العلوم الاجتماعية الجزئية

يميز كونت فى علم الاجتماع بين قسمين : الاجتماع الاستقرارى والاجتماع الديناميكى (التطورى) . ويدرس الاجتماع الاستقرارى statique المجتمع من حيث هو ثابت فى وقت معين من حياته ، ويبحث عن قوانين توازن المجتمعات ؛ فإن الأفراد يحيون فى كل لحظة حياة معينة ، وتقوم بينهم علاقات معينة تكفل التماسك الاجتماعى . ويجب أن يكون هناك نوع من العلاقات المحددة بين جميع مظاهر الحضارة المختلفة فى كل وقت ، بمعنى أن حالة معينة من العلم مثلاً يتصل بها حالات معينة من الدين والأخلاق والفن والصناعة وما إلى ذلك ؛ فالاجتماع الاستقرارى إذن يبين هذه العلاقات والروابط التى يقوم عليها التماسك الاجتماعى . أما الاجتماع التطورى dynamiques فإنه يدرس المجتمع فى تطوره ويبحث عن قوانين ذلك التطور . ويرى كونت أن هناك قانوناً واحداً للتطور هو « قانون الحالات الثلاث Lois de trois états » ، تمر الإنسانية بمراحلها في تطورها ؛ والإنسانية تتطور دائماً . وهذه المراحل أو الحالات هى : المرحلة اللاهوتية ، فالمرحلة الميتافيزيقية ، فمرحلة العلوم الوضعية . ولما كان علم الاجتماع أعقد العلوم الوضعية كلها فإنه يتناول ، لا مشكلة واحدة فحسب ، بل مشاكل ومسائل مختلفة ومتعددة بتعدد مظاهر الحياة الاجتماعية . فهناك إذن فروع لعلم الاجتماع ، أو علوم اجتماعية جزئية بمقدار تلك المظاهر المختلفة للظاهرات الاجتماعية التى لم تحص بعد . ويرى دوركايم أن من سبق الوقت أن نضع تصنيفاً منهجياً للظاهرات الاجتماعية لتعقدها وتعددها ، ولكن من الممكن ، فى نظره ، أن نبين بشكل ما الأقسام الرئيسية التى ينقسم إليها علم الاجتماع

إن أول ما يتوجه إليه نظر الاجتماعى هو المجتمع من ناحيته الخارجية ، فيظهر له أنه تكون من كتلة من السكان لها عدد معين وكثافة معينة ، وتسكن أرضاً معينة تتوزع عليها بشكل معين ، وترتبط بما حوله من المجتمعات علاقات وصلات وروابط معينة ، وفيه طرق مواصلات تفرضها طبيعة الأرض ، وهكذا . ولا شك أن ذلك كله من العوامل العامة التى لها أثرها فى الحياة الاجتماعية ، بل إنها أساس تلك الحياة . فكما أن الحياة النفسية فى الفرد تتغير تبعاً للبناء التشريحى للمخ ، كذلك تختلف الظاهرات الاجتماعية حسب اختلاف البناء الاجتماعى . فلا بد إذن من وجود علم اجتماعى يكون بمثابة علم التشريح ، ويدرس التكوين المادى الخارجى للمجتمع . هذا العلم هو ما يسميه دوركايم « بالمورفولوجيا الاجتماعية » (أو علم تركيب المجتمع) La morphologie sociale ولا تصف المورفولوجيا الاجتماعية المجتمع وتركيبه فحسب ، بل تحاول تفسير ما تراه ، فتفسر مثلاً سبب تجمع السكان فى موضع دون آخر ، وهل التجمع يكون فى المدن أكثر منه فى الريف أو العكس وسبب ذلك ، وتبين سبب نشأة المدن الكبرى وهكذا . فهى أشبه شىء بالجغرافية البشرية ... وواضح من ذلك أن هذا العلم الجزئى يعالج بدون موضوعات ومشاكل مختلفة ومتعددة

ولئن كانت المورفولوجيا الاجتماعية تدرس الهيكل المادى الخارجى للحياة الاجتماعية ، فإن هناك علماً آخر يدرس هذه الحياة نفسها ، وهو ما يسمى بعلم الوظائف الاجتماعية (أو النظم الاجتماعية) la physiologie sociale ، وهذا العلم معقد أيضاً أشد تعقيد ومركب من عدة علوم جزئية مختلفة

فهناك أولا المعتقدات والنظم والشعائر الدينية . والدين ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تتمثل إلا فى مجتمع ، وتدعمه جماعة أو هيئة لها أصول ومراسيم تسير عليها دائماً ؛ وهذه الهيئة هى الكنيسة فى أوربا . وكثيراً ما يتدخل الدين فى السياسة ويتصل اتصالاً قوياً بالسلطة السياسية . وللدين – ويدخل فى ذلك الخرافات والأساطير وما شابهها عند البدائيين – سيطرة قوية على النفوس ، ولا بد للمجتمع أن يحترمه ويخضع له . ويرى دوركايم أن دراسة الدين هى أهم ناحية فى دراسة المجتمع ، وهى تكون مايسمى بالاجتماع الدينى La sociologie relegieuse .

ثم هناك الأخلاق والعادات ، وهى أيضاً ظاهرة اجتماعية هامة ، فلا يمكن تصور إنسان أخلاقي يحيا وحده ، إنما تنشأ الأخلاق من اتصال الناس وتتعلق بمعاملات بعضهم لبعض فى المجتمعات ؛

وفرع علم الاجتماع الذي يدرس الأخلاق هو الاجتماع الأخلاق sociologie morale . ويتصل بالاجتماع الأخلاقي فرع آخر هو الاجتماع القانوني sociologie juridique ، وهو يدرس النظم التشريعية ، والقانون الذي يتصل أشد الاتصال بالحياة الاجتماعية وينظمها ، ويحدد أفراد المجتمع . وهناك أيضاً النظم ويدرسها الاجتماع الاقتصادي sociologie économique ، وهو يبحث كل ما يتعلق بالإنتاج والمبادلة والثروات والتوزيع . هذه هي الفروع الرئيسية ؛ ولكن هناك علمين جزئيين آخرين هما الاجتماع اللغوي sociologie linguistique الذي يدرس اللغة من حيث هي ظاهرة اجتماعية تعتمد في وجودها على وجود مجتمع ما بين أفراده معاملات وصلات ، ومن حيث هي تحمل خصائص المجتمع الذي توجد فيه ، بحيث يمكن الاستدلال من اقتراب اللغات على اقتراب الشعوب . ثم أخيراً هناك الاجتماع الجمالي sociologie esthétique ، وهو يدرس أعمال الفن ؛ فإن الفنان — شاعراً كان أو خطيباً أو مثالاً أو نقاشاً — يظهر ذاتية مجتمعه الخاصة في أعماله ، فهو يستمد معانيه الفنية من البيئة الاجتماعية في عصر معين فيعبر عنها ويخاطب بها أناساً غيره ، مما لا يتيسر إلا في مجتمع

وقد دُرست بعض هذه الأبواب من قَبل دوركايم وخاصة الظاهرات الاقتصادية التي كانت تدرس تحت اسم « الاقتصاد السياسي Economie Politique » ولكن هذا العلم كان يهتم بما يجب أن يكون أكثر من اهتمامه بما كان أو بما هو كائن . ولا ينظر الاقتصاديون إلى الحقائق الاقتصادية نظرة العلماء إلى الحقائق العلمية الفيزيقية مثلاً ؛ ولذلك لا يرون ضرورة دراستها دراسة نظرية قبل محاولة الإصلاح . ثم إنهم يظنون أن الناحية الاقتصادية بعيدة كل البعد عن بقية نواحي الحياة الاجتماعية أو أنها مستقلة بذاتها ، بينما يرى دوركايم أننا لا يمكننا تفسير الظاهرات الاقتصادية إذا لم نعتمد ونلتجيء إلى بقية الظاهرات الاجتماعية ؛ فأجر العمال مثلاً لا يتوقف فقط على العلاقة بين « العرض والطلب » بل على علاقات أخرى اجتماعية أخلاقية كنظرتنا إلى الشخص الإنساني واعتباره وفكرتنا عنه وتقديرنا له من حيث هو إنسان

فواضح إذن من التحليل السابق كيف أن علم الاجتماع لا يدرس مشكلة واحدة بل عدة مشاكل ، بحيث لا يمكن لإنسان أن يلم بحثاً كله جميعها ، بل لا بد من أن يتخصص في إحداها . وليس هذا يعني أن ليس هناك علم كلي تركيبي يجمع النتائج العامة لكل فرع من هذه الفروع الجزئية ؛ فإنه مهما كانت الظاهرات الاجتماعية مختلفة ومتعددة ، فإنها ليست إلا أنواعاً لجنس واحد . ومن الممكن دراسة ما يؤلف وحدة الجنس وما يميز الظاهرة الاجتماعية في ذاتها . والعلم الذي يهتم بذلك هو علم الاجتماع العام sociologie generale الذي يستخرج القوانين العامة من الجزئيات . وهذا هو الجانب الفلسفي لعلم الاجتماع

ثالثاً — المنهج الاجتماعي

بعد ما سبق يجب علينا أن نبين المنهج المتبع في دراسة هذا العلم

إن المشاكل الرئيسية في علم الاجتماع تتلخص في البحث عن كيفية تكوين نظام سياسي أو قانوني أو ديني الخ ... وعن أسباب وجود تلك النظم . والتاريخ المقارن هو أحسن وسيلة تساعد الاجتماعي على حل هذه المسائل . فالنظم الاجتماعية معقدة أشد التعقيد ومركبة من أجزاء عديدة ، فلكي نفهمها لا بد لنا من أن ندرس كلاً من هذه الأجزاء على حدة ، لأننا لن نفيد شيئاً من دراسة النظام كاملاً على ما هو عليه الآن ، بل لا بد من الرجوع إلى بداية نشوئه ومتابعة تطوره خلال التاريخ ملاحظين ارتباط هذه الأجزاء المنفصلة بعضها ببعض حتى يصل النظام الاجتماعي إلى شكله الحالي . . . لنأخذ مثلاً لذلك ظاهرة القرابة وهي من الظاهرات التي تبدو بسيطة ؛ فإننا حينما نحاول دراستها تظهر لنا لأول وهلة فكرة القرابة الأبوية ؛ ولكننا إذا تقينا خلال التاريخ ظهرت لنا فكرة أخرى وتصور آخر عن القرابة وهي القرابة التي تنتمي إلى الأم ؛ فهناك عائلات نعرفها خلال دراسة التاريخ لا تعرف إلا هذا النوع الأخير من القرابة ، ولا تلعب القرابة الأبوية فيها إلا دروساً ثانوية . ولكن القرابة الآن مزدوجة ، تعتبر الناحية الأبوية كما تعتبر الأم ، فكيف وصل هذا النظام إلى ذلك ؟ هنا أيضاً نتبع خلال التاريخ مرور هذه الظاهرة في كلتا الحالتين خلال حضارات مختلفة ، حتى يندمجا معاً ويصلا إلينا على هذه الصورة الحالية المزدوجة . فبالتاريخ إذن نفسر ونبين علل الظاهرات الموجودة ؛ والتاريخ يلعب في نظام الحقائق الاجتماعية دوراً يماثل الدور الذي يلعبه

الميكرسكوب فى نظام الحقائق الفيزيقية

وبذلك يمكن القول إن علم الاجتماع هو إلى حد كبير نوع من التاريخ . والمؤرخ أيضاً يعالج الظاهرات الاجتماعية ، ولكنه يعتبرها من ناحية خاصة من حيث تعلقها بشعب من الشعوب فى زمن معين وفى مرحلة معينة من مراحل تطوره . أما الاجتماعى فإنه يحاول الوصول إلى علاقات عامة وقوانين كلية عن المجتمعات المختلفة . نعم قد يدرس دراسة خاصة ظاهرة ما مثل حالة الدين أو القانون مثلاً فى فرنسا أو انكلترا أو روما أو الهند فى هذا القرن أو ذاك ، ولكن مثل هذه الدراسات إنما هى فى الواقع وسائل فقط للوصول إلى بعض عوامل الحياة الدينية على وجه العموم ؛ ولذا فإن الاجتماعى يقارن فى دراستين مجتمعات من نفس النوع أو بين مجتمعات من أجناس مختلفة ليتأدى إلى ما يريد

وهناك منهج آخر عند دوركايم غير التاريخ ، وهذا المنهج نستخدمه حينما نبحث لا عن كيف تكوّن نظام اجتماعى ما ، بل سبب تمثل هذا النظام أو هذه الظاهرة فى هذه المجتمعات تمثلا متفاوتاً . مثلاً حينما نعرض لدراسة ظاهرة مثل جريمة القتل ، فإننا بدلا من أن نبحث أين تأتى هذه الظاهرة ، نتساءل عن أسباب تفاوت حظ المجتمعات المختلفة منها ، فبعضها تشيع فيها بكثرة ، وبعضها لا تظهر فيها إلا قليلاً . وكذلك الحال فى ظاهرة تفاوت الزواج والطلاق كثرة وقلة فى المجتمعات المختلفة وهكذا . فنى مثل هذه المسائل نلجأ إلى الإحصاء la statistique [1]

ومهما يكن المنهج الخاص الذى يتبعه الاجتماعى فى دراسته فإنه يجب عليه حين يدرس ظاهرة ما أن يتناسى تماماً كل فكرة قد يكون كونها لنفسه فيما سبق ، وأن يتناول الظاهرة كما يتناول علماء الطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا والسيكولوجيا موضوعات دراستهم ، وإن كان من الصعب تحقيق ذلك فى علم الاجتماع ، لأننا نكوّن أثناء حياتنا اليومية بعض أفكار عن الأخلاق والقانون والمعاملات الاقتصادية وغير ذلك . ومن العسير نسيان هذه الأفكار .

(الأسكندرية) أحمد أبو زيد

(١) مع أن دوركايم لم يذكر فى هذه المقالة إلا الطريقة المقارنة والاحصاء كمنهجين اجتماعيين ، إلا أن هناك طرقاً أخرى تستعمل كمناهج أيضاً وهى : التحقيق العام L'enquete وهو يستخدم لدراسة الظاهرات الحاضرة القائمة أو التى كانت فى الماضى القريب ، كالتحقيق فى الجرائم مثلا . ثم التحقيق الخاص monographie ، وميدان بحثه ضيق ، ويتناول موضوعاً واحداً كدراسة أسرة معينة من جميع نواحيها وتعميم ما يتوصل إليه من نتائج ، وسحبها على الأسر الأخرى المماثلة ، وهذا التعميم من العيوب التى تؤخذ على هذه الطريقة . ثم هناك الوثائق المكتوبة documen's ecrits كدراسة القانون والمنشورات الحكومية ودلائل المركات وغير ذلك . وهذه الطرق على العموم فائدتها أقل من المنهجين اللذين ذكرهما دوركايم هنا . والمنهج لا بد له من شروط ، وقد بين دوركايم هذه الشروط فى كتابه : قواعد المنهج الاجتماعى Les règles de la methode sociologiques ، وهذه الشروط هى : ١ — وجوب اعتبار الظاهرات الاجتماعية كالأشياء ٢ — وجوب نبذ كل فكرة سابقة عن الظاهرة التى تعالجها ٣ — تعريف الظاهرات التى تدرسها وتحديدها وتوضيح = أنواعها المختلفة وما بينها من فروق ٤ — عدم التحيز إلى بيئة معينة ، بل يجب القضاء على حساسية عالم الاجتماع الخاصة ٥ — وجوب التفرقة بين الظاهرات الصحيحة السليمة والظاهرات الشاذة المريضة . (راجع فى ذلك كتاب قواعد المنهج الاجتماعى لدوركايم . كذلك استفدت فى كتابة هذه الحاشية بمحاضرات علم الاجتماع التى ألقاها الأستاذ عبد العزيز عزت مدرس علم الاجتماع بجامعة فؤاد الأول على طلبة قسم الفلسفة بجامعة فاروق الأول عام ١٩٤١)

الزهرة اليتيمة

[نبتت فى طريق أحد المتنزهات بين الصخور والأحجار زهرة جميلة فقلت فيها]

للأستاذ أحمد الصافى النجفى

عرضت حسنها برغم الصخور | زهرة لم تنل حظوظ الزهور
فهى تحيا على شفا الموت لما | أن أقامت على طريق العبور
وهى تعطى للعابرين جمالاً | وأريجاً ونفحة من سرور
إنْ تغاضوا عنها دعتهم إليها | بلسان الشــذا ولحن العبير
تسأل العابرين عطفاً عليها | والتفاتاً لحسنها المغمــور
وهى من عين من يمر عليها | لم تطالب بغير حق المرور
أصبحت زينة الطريق جديباً | وترى الزهر زينة للصدور
فهى رغم الشحوب تبدى اختيالاً | وابتهاجاً برغم صرف الدهور
تعصر الريح كى تصيب رواء | وتبــل الظما بلفح الهجير
وهى تحت الغبار تبدى جمالاً | مثل خَوْدٍ تشع تحت الستور
كم دهاها فى الساق كسر فقامت | تتهــادى بساقها المكسور
ولدت جنب قبرها فهى جذلى | بحيــاة وعينها للمصير
يا لها من يتيمة فصلتها | عن حمى أمهــا يد المقدور
ورماها القضاء مغمضَ عين | وسط دار ليست بدار الزهور
لا رفاق لها ولا أخوات | تمست بذرة لها فى البذور
فهى بنت الطريق تحيا وتفنى | تحت ركل ودهسة وعثور
وهى تحكى فقيرة فى طريق | عرضت كف مقعد وأسير
جهلت دارها القديمة لكن | علمت أنهـــا غريبة دور

من شعر الأطفال

للأســتاذ على متولى صلاح

١ – طفل يناجى أمه

أمى : أحبك مثلما | أهوى وأرغبُ فى الحياهْ
أمى : أطيعك دائماً | لأنال رضوان الإله ...

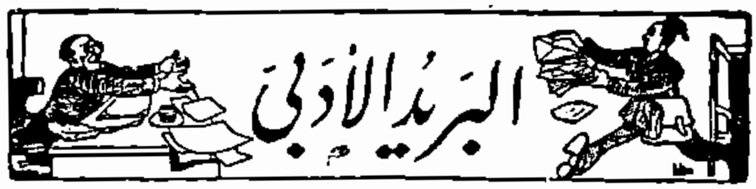
أمى صــغيرك فاقبلى | منى التحيّة والدُّعاءْ
إنى فــداؤك فاسألى | روحى أقدّمْها فداءْ ...

٢ – تحية الشمس

أشرق بالضــياءْ | يا حيــاة الوجودْ
أنتِ زينُ السماءْ | أنتِ رمزُ الخلــودْ
أشرق أشرق ...
أشرق للأنامْ | يا جمال الحيــاهْ
وابعــثى الابتسامْ | فوق كلّ الشفاهْ
أشرق أشرق ...
فيكِ معنى الجهــادْ | فيكِ معنى الكفاحْ
فاظهرى للعبــادْ | يا شــمار النجاحْ
أشرق أشرق ...

٣ – المدرســة

دارُ عـــلم وأدبْ | وسرور وطــربْ
نقطعُ اليوم بهـــا | بين جدّ ولعبْ
ونغـــذّى عقلنا | ونؤدّى ما وجبْ
نحنُ فيهـــا دائماً | لا نبـــالى بالتعبْ
نحنُ فيهـــا إخوةٌ | ضَمّنا برٌ وحُبْ ...



١ — شعراء المهجر

ترددت كلمة شعر المهجر ، وشعراء المهجر ، فى مقالات بعض الأدباء ، وذلك بمناسبة السجال الأدبي الذى دار بين الدكتور محمد مندور ، والأستاذ سيد قطب ، حول (الشعر المهموس) ، وقد رأيت بهذه المناسبة أن أذكر أشهر شعراء المهجر ومنتوجهم الشعرى الذى أخرجوه لعالم الطبع . وغرضى من هذا الإشارة — ولو كانت خاطفة — إلى لون من الأدب العربى المصرى يمتاز بطابع خاص ، وسمة معروفة ؛ تتجلى حين مقابلته مع آداب البلدان العربية الأخرى .

فأشهر هؤلاء الشعراء هم : الأستاذ إيليا أبو ماضى ، صاحب ديوان (الجداول) ومجلة (الناهل) الأدبية ؛ والمرحوم جبران خليل جبران الكاتب الفنان ، وله ديوان (المواكب) ؛ والشاعر المفكر ميخائيل نعيمة صاحب قصيدة (النهر المتجمد) الرمزية ؛ وهو قد جمع شعره ، وسيطبع قريباً باسم (همس الجنون) على ما قالت مجلة (الأديب) البيروتية ؛ والفيلسوف أمين الريحانى الذى أفرد معظم الجزء الثانى من كتاب (الريحانيات) للون خاص من الأدب ، جاء به شعراء المهجر وهو (الشعر المنثور) ؛ ورشيد أيوب الملقب (بالشاعر الدرويشى) وقد توفى فى العام الماضى ، بعد أن ترك مجموعاته الشعرية : (الأيوبيات) و (هى الدنيا) و (أغانى الدرويش) ؛ والشاعر فوزى المعلوف وله ملحمة (على بساط الريح) ،وشقيقه رياض المعلوف ، وقد أصدر مجموعة من شعره بعنوان (الأوتار المتقطعة) وشفيق المعلوف صاحب ملحمة (عبقر) الشعرية ؛ والشاعر إلياس فرحات الذى أصدر قبل سنين رباعيات باسم (رباعيات فرحات) ، ونعمة قازان ، وله (معلقة الأرز) ؛ وهناك مجموعة جيدة من شعر الشاعر القروى ؛ ومن شعراء المهجر المعروفين ، نسيب عريضة ، وإلياس قنصل ، ولم يجمعا شعرهما بعد — على ما نعلم — ومما يجب ذكره ، ونحن فى معرض الإشارة إلى شعراء المهجر ، أنهم يعنون بالمعانى الشعرية قبل الألفاظ ، وهم قد خرجوا عن حدود الشعر العربى وعروضه المعروفة ، إلى ضروب متباينة من النظم . وشعراء المهجر لا يعنون بالديباجة العربية ، والبيان العربى ؛ وقد تأتى ذلك من معيشتهم فى بيئة غريبة عنهم ؛ عدا الشاعر الكبير إيليا أبو ماضى الذى جمع إلى خياله الرائع وأفكاره العالية لغة حلوة ، وبيانا مسلسلا ؛ وقد اكتسب ذلك من إقامته فى القطر المصرى بضع سنين .

٢ — شاعرية العقاد

أنكر الدكتور محمد مندور شاعرية الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى السجال الأدبي الأخير ، وهذا الذى يعلنه الدكتور مندور لا يرضاه كل من تذوق شعر العقاد ، وقرأ دواوينه الرائعة . والعقاد شاعر موهوب ، ويمتاز شعره بالأفكار الفلسفية الناضجة المبثوثة فى تضاعيفه . والحكمة التى تقرؤها فى بيت للمتنبى مثلاً ، تقرؤها فى أبيات متسلسلة فى قصيدة من قصائد العقاد ؛ كما يمتاز بوحدة الموضوع ، وموسيقى المعانى التى لا يعرضها الشعر العربى الحديث إلا فى شعراء معدودين أبرزهم الأستاذ خليل مطران بك ، والذى ينكر شاعرية العقاد يجب عليه أن يقرأ أول آثار العقاد الشعرية ، وهو ديوان (العقاد) ، وأن يعيد النظر فى الطرفة الشعرية الخالدة (ترجمة شيطان) وقصائده : (البدر فى الصحراء) و (أنس الوجود) و (طاس على ذكرى) ، فسيرى أن العقاد من كبار الشعراء المعاصرين

٣ — رباعيات الخيام

ذكر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى العدد (٥٢٨) من الرسالة الغراء ، أسماء الشعراء العرب الذين نقلوا رباعيات عمر الخيام إلى اللغة العربية بمناسبة ظهور الطبعة الثانية من ترجمة الصافى الرائعة ؛ ولم يذكر أن هناك ترجمة منظومة للأستاذ محمد السباعى نقلها عن الإنكليزية ، كما لم يذكر المختارات التى انتقاها الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى من رباعيات الخيام ، وترجمها إلى العربية نثراً . ثم أتبعها بترجمة شعرية ،

وهناك ترجمة شعرية لهذه الرباعيات قام بها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، ونشر بعضها فى مجلة (الرجاء) النسائية ، وفى الجزء الثانى من (ديوان المازنى) . وقد ترجمها عن الفارسية نثراً الأستاذ حامد أحمد الصراف ، جعلها فى ختام كتابه عن (عمر الخيام) : ومن التراجم التى لم تظهر فى عالم الطبع ، ترجمة الشاعر الأستاذ محمد مهدى الجواهرى ، وترجمة الأستاذ السيد محمد الهاشمى صاحب مجلة (اليقين) البغدادية . ومما أود ذكره فى هـذه المناسبة أن فى ترجمة السباعى ، وهى الترجمة الثانية ، لرباعيات الخيام فى اللغة العربية بيتين مسروقين عن الشاعر الشهير با (بن وكيع) ،

وهذان البيتان هما :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت مُخلس

سل سيف الفجر من غمد الدجى

(وتعرى الصبح من ثوب الغلس)

ويلى هذين البيتين قول ابن وكيع من القصيدة نفسها :

وانجلى عن حلل وردية نالها من ظلم الليـــل دنس

(بغداد) محمود العبطة

تعليم الإنشاء فى المدرسة الثانوية

فى مقطم ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٨ أبديت رأياً صريحاً وجهته إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف — إذ ذاك — على الشمسى باشا ، طلبت فيه : أن يختص معلم الإنشاء به ، وأن يفرغ مدرس البلاغة لها ، وأن يكون للأدب أستاذ خاص . وهكذا . . .

واليوم أرى وزارة المعارف تنهض لهذا الرأى ، وإنى لأرجو — مخلصاً — أن توفق للأخذ به . وهذا رأيى وعلى تبعته ، « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت »

محمد مختار يونس

المفتش بالتعليم الثانوى

إيضاح

كتب الأستاذ مرزوق فى مقاله العدد ٥٣٥ من « الرسالة » قال إن الإسلام نهى الفنان عن ابتداع الصور ، وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » وعندى أن هذا الحديث وأحاديث أخرى أعتقد أنهـا غير صحيحة ، وذلك لأن كتب الحديث لم توضع إلا بعد وفاة النبى بأكثر من مائتى عام تقريباً ، وهذه الأحاديث الخاصة بتحريم التصوير بينها وبين تعاليم اليهود ارتباط ؛ وما أكثر ما اختلقه اليهود من أحاديث نسبوها كذباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ! واليهود تنص التوراة التى يدينون بها « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء »

وعلى فرض صحة هـذه الأحاديث ، فأعتقد أنها لا ترمى إلى التحريم الذى اعتقده الأستاذ مرزوق فى مقاله ، فأنا أنزه الإسلام عن هذا والفن الجميل لا يتعارض مع الدين وكلاهما يدعو للفضيلة وإن كانت الفنون الجميلة فى مصر فيها خروج على الدين وتعاليمه وإباحة لرؤية أجساد النساء عاريات وهذا ليس من الفن فى شىء . فرسالة الفنان اجتماعية وهى الدعوة إلى الفضيلة ، ودينية هى إبراز محاسن الطبيعة التى تشهد بقدرة الله ، وسياسية وهى التنفير من مذهب يضر بالأوطان ... والإسلام يبيح الفن الذى يدعو إلى الفضيلة . وهناك من الأحاديث « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم » و « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »

ولـكن المعنى الذى توهمه كاتب المقال وادعاه أعداء الدين ليس المقصود ، إنما قصد الرسول صلوات الله عليه أولئك الذين نحتوا الأصنام ، ثم أعدوها للناس يعبدونها ويتخذونها آلهة من دون الله أولئك يعذبهم الله عذاباً أليماً حتى ينفخ أحدهم فيها الروح . وإلا فـكيف أتاح معاوية وهو من الخلفاء القريبى العهد ببدء الإسلام أن يضرب نقوداً فى عصره عليها تمثال فارس متقلداً سيفاً والروح الدينية على أشدها والعقيدة على قوتها ! وبعد فأنا أستبعد التحريم وأقول إن المقصود هو المعنى الذى سقته ... والفن مباح فى حدود الدين والأخلاق

(منفلوط) أحمد لطفى القاضى

المحامى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)